

## المقدمة :

لقد عُني الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في كتابه التفسير بالرجوع إلى عدد من كتب التفسير وغيرها، منها تفسير ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبغوي، والكشاف للزخشري، وابن عطية، والرازي، القرطبي، وكتب الصحاح والسنن، وكتب الفقه، والسير، واللغة وغيرها كثير وأهم كتاب في التفسير أفاد منه الحافظ بن كثير ورجع إليه، هو تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، رحمه الله تعالى، المعروف بـ ( جامع البيان في تفسير القرآن ) فقد تأثر به تأثراً كبيراً، وهذا التأثر يلاحظه القارئ لتفسير ابن كثير، إذ لا يكاد القارئ يمر على صفحة من صفحات تفسير ابن كثير دون أن يجد تأثراً بتفسير ابن جرير الطبري.

واستفاد الحافظ ابن كثير من الإمام ابن جرير في جوانب كثيرة، فقد كان ينقل عنه الأحاديث الكثيرة المتعلقة بتفسير بعض الآيات، ونظراً لما يتمتع به ابن كثير من معرفة لعلوم الحديث، فإنه يقف من بعض هذه الأحاديث موقف الناقد البصير، فيستدرك أحياناً على ابن جرير في حكمه على بعض الأحاديث، وأحياناً يتفق معه في ذلك، وكذلك ينقل عن ابن جرير الكثير من الآثار، إلا أنه لا يعلق عليها كما هو الحال مع الأحاديث، وهذا هو دأب كثير من العلماء فإنهم قد يتساهلون في رواية الآثار، أما الأحاديث النبوية فغالباً ما يحكمون عليها ويبينون درجتها.

ومن الجوانب أيضاً التي استفادها ابن كثير من ابن جرير اللغة وشواهدا الشعرية، والقراءات، وأسباب النزول والفقه، واستنباط الأحكام وينقل عنه أحياناً بعض الأخبار الإسرائيلية و مع ذلك فهو غالباً ما يتعقبها ويبين الموقف الصحيح منها

كذلك نجد بن كثير ينقل عن ابن جرير تفسيره القرآن بالقرآن، وتفسيره لبعض الآيات،  
ويبين ترجيح واختيار ابن جرير لمعنى الآية من بين الأقوال التي يوردها.

وابن كثير مع استفادته من ابن جرير، إلا أن له شخصيته العلمية المتميزة، فهو  
يوافق ابن جرير فيما ذهب إليه في الغالب، وقد يخالفه ويستدرك عليه في بعض  
الأحيان، شأنه في ذلك شأن العلماء الراسخين الذين لا تمنعهم استفادتهم من بعضهم  
أن يستدرك بعضهم على بعض ما يرون أنهم جانبوا فيه الصواب، ورائدهم في ذلك  
الدليل والحجة من الكتاب والسنة.

وسأتبع في هذه الدراسة كل الاستدراكات التي صرح فيها ابن كثير بتعقبه لابن  
جرير في تفسير سورة البقرة، حيث سأبين أن ابن كثير وافق ابن جرير الطبري في بعض  
اختياراته، وأضرب لذلك عدداً من الأمثلة التي أيد ابن كثير ابن جرير فيها، ثم بعد  
ذلك أذكر استدراكات ابن كثير على ابن جرير في سورة البقرة، فأبدأ بذكر قول ابن  
جرير في الآية واختصره إن كان طويلاً، ثم أذكر استدراك ابن كثير لقول ابن جرير  
وحجة ابن كثير في ذلك، وأبين من وافق ابن كثير ممن سبقه أو جاء بعده من المفسرين  
على هذا القول، ثم أختم بما يظهر لي أنه الراجح بعد ذلك.

هذا وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث ويحسن القصد والله الموفق، وصلى الله  
على محمد وآله وصحبه وسلم.

من المعلوم أن ابن كثير وافق ابن جرير في كثير من اختياراته ومن الأمثلة على  
موافقته في سورة البقرة التي هي موضوع الدراسة ما يلي :

١- في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ  
النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾<sup>(١)</sup> فذكر ابن  
كثير الأقوال في المقصود بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ ثم قال: واختار أبو جعفر  
بن جرير أنها عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يعين واحداً من هذه الأقوال،  
والحمل على الجميع أولى والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

٢- في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَاَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ  
الشَّمْرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ..... الآية ۗ ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي  
ابن كعب ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ ۗ ﴾  
قال: هو قول الله تعالى، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وهو الذي صوبه ابن جرير رحمه الله  
تعالى، ثم ذكر ابن جرير القول الآخر، وهو أنه من تمام دعاء إبراهيم وضعف - أي ابن  
جرير - هذا القول<sup>(٤)</sup>.

(١) الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٤٨، جامع البيان ١/٤٩٧.

(٣) الآية (١٢٦) من سورة البقرة.

(٤) تفسير ابن كثير ١/١٦٦، جامع البيان ١/٥٤٥.

٣- في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾<sup>(١)</sup>

الآية .

نقل ابن كثير الأقوال في المعنى بهذه الآية من تفسير ابن جرير ثم قال: واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم، ومن كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة، لأن من كان كذلك يعد حاضراً لا مسافراً، والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

قلت: ويبدو أن ابن كثير رجح ما اختاره ابن جرير، لأنه لم يتعقبه بشيء والله

أعلم.

٤- في قوله تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ... الآية ﴾<sup>(٣)</sup> .

لقد وافق ابن كثير ابن جرير في اختياره أن أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، حيث قال ابن كثير: واختار هذا القول ابن جرير، قال: وضح إطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من الأمثلة.

أما المواضع التفسيرية التي استدرك فيها ابن كثير على ابن جرير في سورة البقرة

مع المناقشة، وبيان الراجح قدر الإمكان فهي ما يلي :-

١- ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى أقوالاً كثيرة في معنى الحروف الهجائية التي

أفتتحت بها سورة البقرة، وبعض السور، والأقوال التي ذكرها هي:

---

(١) الآية (١٩٦) من البقرة.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٢٣/١ ، جامع البيان ٢٥٦/٢ .

(٣) الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٤) تفسير ابن كثير ٢٢٤/١ ، جامع البيان ٢٦٠/٢ .

- أن (ألم) : اسم من أسماء القرآن.
- أنها اسم للسورة.
- أنها فواتح يفتح الله بها القرآن.
- أنها اسم الله الأعظم.
- أنها قسم أقسم الله به، وهي من أسمائه.
- أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر، ومنهم من قال هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة.
- حروف من حساب الجمل.
- لكل كتاب سر، وسر القرآن فواتحه.
- قال بعض أهل العربية هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقبها، التي هي تمت الثمانية والعشرين حرفاً.
- وقال بعضهم هو حروف يستفتح الله بها كلامه، ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى.
- ثم شرع بعد ذلك بوجه كل قول من هذه الأقوال، إلى أن قال: «والصواب في تأويل ذلك عندي أن كل حرف منه يجوي ما قاله الربيع<sup>(١)</sup>، وما قاله سائر المفسرين

(١) وهو قوله أن كل حرف منها يشتمل على معان شتى مختلفة، جامع البيان ١/٨٨ .

غيره فيه، سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية، أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنها حروف هجاء استغنى بذكر ما ذكر منها في مفاتيح السور عن ذكر تنمة الثمانية والعشرين حرفاً من حروف المعجم، ثم بين فساد هذا القول لأهل العربية، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل، ثم قال - أي ابن جرير - فإن قال لنا قائل! وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملاً للدلالة على معان كثيرة مختلفة؟ قيل كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، كقولهم للجماعة من الناس أمة، وللحين من الزمان أمة، وللرجل المتعبد المطيع لله أمة، وللدين والملة أمة، وكقولهم للجزء والقصاص دين، وللسلطان والطاعة دين، وللتذلل دين، وللحساب دين، في أشباه لذلك كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، مما يكون من الكلام بلفظ واحد، وهو مشتمل على معان كثيرة، كذلك قول الله جل ثناؤه ﴿الم، والمر، والمص﴾ وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور، كل حرف منها دال على معان شتى ... الخ<sup>(١)</sup>، وقد تعقبه ابن كثير بقوله: «ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح، إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول، ليس هذا موضع البحث فيها، والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره، فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف.

(١) جامع البيان ١/٨٧ - ٩٤ باختصار وتصرف.

ثم بين بعد ذلك ابن كثير أن هذه الحروف لها معنى، وقال: فإن صح لنا فيها شيء عن المعصوم قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴿<sup>(١)</sup>﴾. وقال أيضاً: إنه لم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليته اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام، ثم ذكر بعض الأقوال نقلاً عن ابن جرير في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف، فذكر أن بعضهم قال: إنها ذكرت للفصل بين السور، وبعضهم قال: ذكرت لتفتح أسماء المشركين، وقد ضعف ابن كثير هذين القولين، ثم ذكر القول الذي يظهر أنه يذهب إليه، حيث قال: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع إنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره <sup>(٢)</sup>، عن المبرد، وجمع من المحققين، وحكى القرطبي <sup>(٣)</sup> عن الفراء، وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصره <sup>(٤)</sup>، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاها لي عن ابن تيمية <sup>(٥)</sup>.

قلت: ورجح هذا القول أيضاً من المتأخرين الطاهر بن عاشور في تفسيره <sup>(٦)</sup>، وسيد قطب في تفسيره ( في ظلال القرآن ) <sup>(١)</sup>، ووهبة الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير) <sup>(٢)</sup>.

(١) سورة آل عمران الآية " ٧ " .

(٢) التفسير الكبير ٦/٢ وقال " « اختاره جمع عظيم من المحققين » .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٥/١ .

(٤) الكشاف ١٦/١ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣٥/١ ، ٣٦ باختصار .

(٦) التحرير والتنوير ٢١٦/١ .

والذي يظهر مما سبق أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن كثير، وغيره من العلماء المحققين .

٢- ذكر ابن جرير الأقوال في من عنى الله تعالى بالآيات الأربع من أول سورة البقرة، والأقوال هي :

الأول : إن الآيتين الأوليتين ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> عنى الله بهما مؤمني العرب خاصة، والآيتان بعد ذلك عنى الله بهما المؤمنين من أهل الكتاب.

الثاني : إن هذه الآيات الأربع نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

الثالث : إن الآيات الأربع من أول السورة أنزلت على محمد ﷺ بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم، وأهل الكتابين سواهم.

واختار ابن جرير القول الأول، وعلل اختياره ذلك بقوله: «قالوا - أي من سبق ابن جرير في ترجيح هذا القول - : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد ﷺ تدين بتصديقه والإقرار والعمل به، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرهم قالوا: فلما قص الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف

(١) في ظلال القرآن ٣٨/١ .

(٢) التفسير المنير ٧٣/١ .

(٣) الآيتان (٢، ٣) من سورة البقرة .



الآخر، وكذلك ذكر سبباً آخر لاختياره بقوله : وما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول أنه جنس - بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف، وبعد تصنيفه كل صنف منهما - الكفار جنسين، فجعل أحدهما مطبوعاً على قلبه، مختوماً عليه، ميؤوساً من إيمانه، والآخر منافقاً يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسر النفاق في الباطن، فصير الكفار جنسين، كما صير المؤمنين في أول السورة جنسين « (١) .

وقد تعقبه ابن كثير بقوله: «قلت والظاهر قول مجاهد: (أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاثة عشر في المنافقين)» (٢) فهذه الآيات الأربع عامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي من أنسي وجني وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها، فلا يصح الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء بها الرسول ﷺ، وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإيقان بالآخرة، كما أن هذا لا يصح إلا بذلك، وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَلْكَتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَأَلْكَتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَوَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٢٦﴾ (٣) . وقال تعالى ﴿ وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحَدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

(١) أنظر جامع البيان ١٠٢/١، ١٠٣ باختصار.

(٢) رواه ابن جرير، انظر جامع البيان ١٠٣/١.

(٣) سورة النساء، الآية " ١٣٦ " .

﴿٤٦﴾ ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيَّ أَذْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٢﴾. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسوله وكتبه ﴿٣﴾. قلت: وما قاله ابن كثير هو الصحيح، وذلك لما ذكر من الآيات الأمرة بالإيمان بجميع رسل الله تعالى وكتبه، دون تفریق بينها في الإيمان، وتكون الواو في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ عاطفة للصفات بعضها على بعض والموصوف واحد كما ذكر ذلك ابن كثير ﴿٥﴾.

٣- في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٦﴾.

ذهب ابن جرير إلى أن هذا المثل ضرب للمنافقين الذين وصف الله صفتهم، وقص قصصهم من لدن ابتداء بذكرهم بقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ ﴿٧﴾ «ورد على من قال أن هذا المثل لمن آمن إيماناً صحيحاً، ثم أعلن بالكفر، لأنه لا يحصل بذلك خداع ولا استهزاء، ولا نفاق، لأن القوم لم تكن لهم إلا حالتان: حال إيمان ظاهر، وحال كفر ظاهر فقد سقط عنهم اسم النفاق إلا أن

(١) سورة العنكبوت، الآية " ٤٦ " .

(٢) سورة النساء، الآية " ٤٧ " .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٢/١ بتصرف يسير.

(٤) سورة البقرة الآية " ٤ " .

(٥) تفسير ابن كثير ٤٢/١ .

(٦) سورة البقرة، الآية " ١٧ " .

(٧) سورة البقرة الآية (٨).

يكونوا قد انتقلوا من إيمانهم الذي كانوا عليه إلى الكفر الذي هو نفاق، وهو يحتاج إلى دليل أو معاني موجبة لذلك، ويكون المعنى على ما ذهب إليه ابن جرير، مثل استتضاء المنافقين بما أظهروا بأستهم من الإيمان والإقرار حتى عوملوا معاملة المسلمين، وحقنت دماؤهم وأموالهم، وغير ذلك، مثلهم كمثل استتضاء الموقد النار بالنار قد ارتفق بضياؤها وأبصر ما حوله ثم خمدت النار وانطفأت، وهكذا المنافق إذا مات وانتقل من هذه الدنيا ظن أن خداعه ونفاقه ينفعه في الآخرة، كما كان الحال في الدنيا، فإذا الأمر على خلاف ذلك، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بُابٌ بِاطْنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ (١).

وقد ذهب ابن جرير إلى أن المثل الناري السابق والمثل المائي في قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ءِاذَانِهِمْ مِنَ الضَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ (٢) كلاهما مضروبان لصنف واحد من المنافقين (٣).

قال ابن كثير: «وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ (٤).

(١) سورة الحديد - الآية " ١٣ " .

(٢) سورة البقرة الآية " ١٩ " .

(٣) جامع البيان ١/١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ بتصرف واختصار.

(٤) سورة البقرة ، الآية " ٨ " .

والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية ها هنا، وهي قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١) فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاؤا بما اظهروه من كلمة الإيمان أي في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة (٢).

ويرى ابن كثير أن المثلين مضروبان لصنفين من المنافقين، ويعلل ذلك بأن المنافقين أصناف، ولهم أحوال، وصفات، كما بين ذلك تعالى في سورة براءة بقوله ﴿ ومنهم، ومنهم، ومنهم ﴾ . فيرى أن المثل الناري الأول مضروب للمنافقين نفاقاً اعتقادياً، والمثل المائي الثاني مضروب لمن فيه شعبة النفاق (٣).

وقد ذهب القرطبي إلى ما ذهب إليه ابن جرير من أن المنافقين أظهروا الإيمان لتثبت لهم بذلك أحكام المسلمين من النكاح والتوارث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم، وغير ذلك، ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم، وذهب أيضاً إلى أن المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين كما قال ذلك الطبري (٤)، وكذلك ذهب إلى ذلك البغوي (٥)، والرازي (٦)، وابن سعدي (٧).

(١) سورة المنافقون، الآية " ٣ " .

(٢) تفسير ابن كثير ٥١/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٣/١ ، ٥٥ باختصار .

(٤) الجامع الأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/١ ، ٢١٥ .

(٥) تفسير البغوي ٦٨/١ ، ٦٩ .

(٦) مفاتيح الغيب ٧٣/٢ ، ٧٧ .

(٧) تفسير ابن سعدي ٥٥/١ ، ٥٦ .

ومما يؤيد ابن كثير فيما ذهب إليه ما قاله عبد القادر شيبه الحمد في تفسيره حيث قال: « والواقع أن المنافقين لم يكونوا على وتيرة واحدة، فبعضهم لاحت لهم أنوار الإسلام فأمنوا ثم ذهب الله بنورهم فكفروا، فطبع الله على قلوبهم، وفي هذا الصنف من المنافقين يقول الله عز وجل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وبعض المنافقين لحقارة نفوسهم كانوا يحرصون على التظاهر بالإسلام لمجرد الحصول على بعض الصدقات فإن أعطوا منها فرحوا ومالوا نحو الإسلام وإذا لم يعطوا امتلأت قلوبهم غلاً وحقداً وسخطاً، وفي هذا الصنف من المنافقين يقول تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وبعض المنافقين عندما أعلن إسلامه لم يكن موقناً به، بل كان متردداً شاكاً قد يرى بصيصاً من نور يتسرب إلى قلبه لا يلبث أن يذهب عنه ويزول، ويُغْلَفَ قلبه الظلام الدامس، وقد ضرب الله تبارك وتعالى في هذا المقام من سورة البقرة مثلين للمنافقين أحدهما ناري والآخر مائي يقرران صفة المنافقين على أكمل وجه وأوضحه<sup>(٣)</sup>.

قلت : ويتضح مما سبق أن الإشكال في أن المضروب لهم المثلان هل كانوا مؤمنين أولاً ثم كفروا ، كما ذكر ذلك ابن كثير أو أنهم لم يؤمنوا أصلاً كما ذكر ذلك الطبري، إن هذا الإشكال يزول إذا عرف أن المنافقين لهم أحوال وأوصاف كما سبق.

(١) سورة المنافقون الآية " ٣ "

(٢) سورة التوبة الآية " ٥٨ "

(٣) تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق من الأباطيل وردىء الأقاويل ٤٩/١ ، ٥٠ .

وكذلك القول بأن المثليين هما لصنفين من المنافقين، كما بين ذلك ابن كثير<sup>(١)</sup> له وجه، لأنه كما سبق أن المنافقين لهم أحوال وأوصاف فبعضهم نفاقه اعتقادي وبعضهم نفاقه عملي.

٤- في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . اختار ابن جرير أن الله علم آدم أسماء الملائكة، وأسماء الذرية، لأنه قال ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾، لأن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة<sup>(٣)</sup> .

وقد تعقبه ابن كثير بقوله: « وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب، كما قال تعالى ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾<sup>(٤)</sup> .

إلى أن قال : والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها<sup>(٥)</sup> .

قلت: والذي قاله ابن كثير هو الصحيح، كما رجح ذلك أيضاً القرطبي<sup>(٦)</sup>، والرازي<sup>(١)</sup>، والبغوي<sup>(٢)</sup>، والزخشي<sup>(٣)</sup>، وغيرهم.

(١) تفسير ابن كثير ٥٣/١ - ٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية (٣١) .

(٣) جامع البيان ٢١٦/١ .

(٤) سورة النور الآية " ٤٥ " .

(٥) تفسير ابن كثير ٧٠/١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٢/١ .

٥- في قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴾ (١)

رجح ابن جرير إن الضمير في قوله تعالى ﴿ بِهِ ۗ ﴾ عائد للقرآن، وقال: « لأن المأمور بالإيمان به في أول الآية هو القرآن، فكذلك الواجب أن يكون المنهي عن الكفر به في آخرها هو القرآن » (٥)، وذكر ابن جرير قبل ذلك أقوالاً منها أن الضمير يعود على محمد ﷺ (٦).

قال ابن كثير بعد أن ذكر القولين وذكر اختيار ابن جرير، بأن الضمير يعود على القرآن، قال: « وكلا القولين صحيح، لأنهما متلازمان، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ، ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن » (٧).

قلت: وإن كان ما قاله ابن كثير صحيحاً إلا أن اختيار ابن جرير أصح وأدق لأن الأصل في الضمير أن يعود على أقرب مذكور، ولأن القرآن هو المتحدث عنه في الآية والله أعلم.

٦- قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا ۗ قَالَ

(١) مفاتيح الغيب ١٧٦/٢، ١٧٧.

(٢) تفسير البغوي ٨٠/١.

(٣) الكشاف ٦٢/١.

(٤) سورة البقرة الآية " ٤١ " .

(٥) جامع البيان ٢٥٣/١.

(٦) جامع البيان ٢٥٢/١.

(٧) تفسير ابن كثير ٨٠/١.

أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيُّوْا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ  
 مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
 كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا  
 وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ (١)

لقد توقف ابن جرير رحمه الله تعالى في تحديد المراد بمصر، أهي مصر المعروفة، أو المقصود أي مصر من الأمصار ، وقال : « فأولى الأقوال في ذلك عندنا والصواب أن يقال: إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سأله من نبات الأرض على ما بينه الله عز وجل في كتابه، وهم في الأرض تائهون، فاستجاب الله لموسى دعاءه، وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قراراً من الأرض، التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك، إذ كان الذي سأله لا تنبته إلا القرى والأمصار ، وأنه قد أعطاهم ذلك إذا صاروا إليه، وجائز أن يكون ذلك القرار مصر، وجائز أن يكون الشام » (٢) .

وقد تعقبه ابن كثير بقوله : « وهذا الذي قاله (ابن جرير ) فيه نظر، والحق أن المراد: مصر من الأمصار ، كما روى عن ابن عباس وغيره ، والمعنى على ذلك، لأن موسى عليه السلام يقول لهم: هذا الذي سألتكم ليس بأمر عزيز، بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه » (٣)

وقد قال الطبري: «وأما الذي لم ينون مصر فإنه لا شك أنه عنى مصر التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها » (٤) .

(١) سورة البقرة الآية " ٦١ " .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٧/١ .

(٣) سورة البقرة الآية « ٦١ »

(٤) جامع البيان ٣١٤/١ ، ٣١٥ .





عباس «<sup>(١)</sup> . أي في قوله تعالى ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن كثير: «قال الضحاك عن ابن عباس: كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها، بعني أنهم مع هذا البيان، وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح، ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذم لهم، وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعتت فلماذا ما كادوا يذبحونها»<sup>(٢)</sup> . قلت: و ما قاله ابن كثير هو الأرجح، وذلك لما ذكر الله تعالى من تعنتهم، كثرة أسئلتهم، وتشديدهم على أنفسهم، وقد رجح ما ذهب إليه ابن كثير الشوكاني في تفسيره<sup>(٣)</sup> . واقتصر على هذا القول ابن سعدي<sup>(٤)</sup> وابن عاشور<sup>(٥)</sup> .

٨- في قوله تعالى ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

رجح ابن جرير رحمه الله تعالى، أن المقصود بهذا الفريق من سمع كلام الله من بني إسرائيل سماع موسى إياه منه، ثم حرف ذلك، وبدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه<sup>(٧)</sup> .

قال ابن كثير: وقال السدي: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨)</sup> قال: هي التوراة حرفوها،

(١) تفسير ابن كثير ١٠٧/١

(٢) تفسير ابن كثير ١٠٦/١ .

(٣) فتح القدير ١٥٥/١

(٤) تفسير السعدي ٩٦/١

(٥) التحرير والتنوير ٥٥٧/١

(٦) سورة البقرة الآية "٧٥" .

(٧) جامع البيان ٣٦٨/١ .

(٨) سورة البقرة الآية (٧٥) .

ثم قال - أي ابن كثير - «وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس، وابن إسحاق، وإن كان قد اختاره ابن جرير، لظاهر الصياغ، فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكلبي موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>». وقد ضعف ابن عطية والقرطبي<sup>(٢)</sup> ما ذهب إليه ابن جرير حيث قال ابن عطية: «وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب فضيلة موسى عليه السلام، واختصاصه بالتكليم<sup>(٣)</sup>» وكذا الرازي<sup>(٤)</sup> ذهب إلى ما ذهب إليه ابن كثير.

قلت: وما ذهب إليه ابن كثير وغيره من المفسرين هو الراجح والله أعلم، وقد استطرد ابن جرير بعد ذلك وذكر كلاماً لا يبعد عن كلام ابن كثير وبقيّة المفسرين، حيث قال: «وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه ثم يبدله ويحرفه ويحده، فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم أخرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق، وهم لا يسمعون من الله وإنما يسمعون منكم ... الخ»<sup>(٥)</sup>.

قلت: والذم حاصل لهم بتحريفهم لكلام الله على كلا القولين.

٩- في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>. قال ابن

(١) تفسير ابن كثير ١/١١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢.

(٣) المحرر الوجيز ١/٢٦٧.

(٤) مفاتيح الغيب ٣/١٣٤.

(٥) جامع البيان ١/٣٦٨.

(٦) سورة البقرة الآية " ٩٤ "

جرير: «وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد ﷺ على اليهود، الذين كانوا بين ظهراني مهاجرة، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم، وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف، كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى، إذ خالفوه في عيسى صلوات الله عليه، وجادلوا فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة، وقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان، وقرب المنزلة من الله، بل إن أعطيتم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها، والفوز بجوار الله في جناته، إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا، وإن لم تعطوها علم الناس إنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم، فامتنعت اليهود من إجابة النبي ﷺ إلى ذلك لعلمها أنها إن تمت الموت هلكت، فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها»<sup>(١)</sup> قال ابن كثير بعد ما نقل كلام ابن جرير السابق: « وهذا الكلام منه (أي من ابن جرير) أوله حسن وآخره فيه نظر، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل إذ يقال: إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم، أنهم يتمنون الموت، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت بل يود أن يعمر ليزداد خيراً، وترتفع درجة في الجنة، كما جاء في الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله »<sup>(٢)</sup> وهم مع ذلك أن يقولوا على هذا: فما أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت، فكيف تلزموننا بما لا

(١) جامع البيان ٤٢٤/١ .

(٢) رواه الترمذي عن عبد الله بن بسر أن أعرابياً قال يا رسول الله : من خير الناس؟ قال: من طال عمره وحسن عمله" سنن الترمذي ٥٦٥/٤ ، حديث رقم "٢٣٢٩" وصححه الألباني كما في سنن الترمذي ٢٧١/٢، حديث رقم "١٨٩٨" .

يلزمكم؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس<sup>(١)</sup>، فلا يلزم عليه شيء من ذلك، بل قيل لهم كلام نصف، إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنكم من أهل الجنة، ومن عداكم من أهل النار، فباهلوا على ذلك، وادعوا على الكاذبين منكم، أو من غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة، لما يعلمون من كذبهم، واقتراءهم، وكتمانهم الحق، من صفة الرسول ﷺ، ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويتحققونه، فعلم كل أحد باطاهم، وخزيهم، وضلالهم، وعنادهم، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>. وقد رجح الرازي ما ذهب إليه الطبري، وقال: «لأنه أقرب إلى موافقة اللفظ»<sup>(٣)</sup> ورجح ابن القيم ما ذهب إليه ابن كثير، وقال: «إن هذا أبلغ في إقامة الحجة، وبرهان الصدق، وأسلم من أن يعارضوا رسول الله ﷺ بقولهم: فتمنوه أنتم أيضاً إن كنتم محقين أنكم من أهل الجنة»<sup>(٤)</sup> وكذلك اقتصر ابن سعدي<sup>(٥)</sup> على ما اختاره ابن كثير.

قلت: ويظهر أن ما ذهب إليه ابن كثير هو الأقرب، وذلك للحجج التي ساقها والله أعلم.

١٠- في قوله ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطٰنِ عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ وَلٰكِنَّ الشَّيْطٰنِ كَفَرُوْا يُعَلِّمُوْنَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلٰى

(١) جامع البيان ١/٤٢٤، ٤٢٥. حيث روى الطبري عن ابن عباس تفسيره لهذه الآية.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٢/١

(٣) مفاتيح الغيب ١٩٢/٣

(٤) الضوء المنير ٢٣٣/١

(٥) تفسير ابن سعدي ١١٤/١

الْمَلَكَئِن بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ  
فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ  
بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ  
وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسْ كَمَا شَكَّرُوا  
بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير: « ﴿ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ في ملك سليمان، وذلك أن العرب  
تضع « في » موضع « على » و « على » في موضع « في »، من ذلك قول الله جل ثناؤه  
﴿ وَأَصْلِبْكُمْ فِي جَذوعِ النَّخْلِ ﴾<sup>(٢)</sup> يعني به على جذوع النخل «<sup>(٣)</sup>» .

قال ابن كثير: وعدها - أي الفعل « تتلو » - بعلی لأنه تضمن « تتلو »  
تكذب، وقال ابن جرير « على » هاهنا بمعنى « في » أي تتلو في ملك سليمان ثم قال ابن  
كثير بعد ذلك: « والتضمن أحسن وأولى والله أعلم »<sup>(٤)</sup>، أي أحسن وأولى مما قاله ابن  
جرير من أن « على » بمعنى « في » .

قلت: والقول بالتضمن أولى، وهو أدل على بلاغة القرآن لأنه يدل على الفعل  
الملفوظ به، والفعل المضمن، أي تتلو تلاوة كذب، وقد ذهب إلى هذا القول ابن  
عاشور<sup>(٥)</sup>، ورجحه أيضاً السمين الحلبي في الدر المصون<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة البقرة الآية "١٠٢"

(٢) سورة طه الآية " ٧١ "

(٣) جامع البيان ٤٤٨/١

(٤) تفسير ابن كثير ١٣٠/١

(٥) التحرير والتنوير ٦٢٩/١

(٦) الدر المصون ٢٩/٢

١١- في قوله تعالى ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ... الآية ﴾ (١).

قال ابن جرير: « إن « ما » بمعنى « الذي » ، وقال: إن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر، اختصاراً لعباده وامتحاناً، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على السنة الرسل، وأن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لأنهما امتثلا ما أمرا به » (٢). قال ابن كثير: « وهذا الذي سلكه ( أي ابن جرير ) غريب جداً » (٣).

قلت: وما ذهب إليه الطبري رجحه البغوي (٤) ، ويفهم من كلام الشوكاني أنه يميل إليه (٥) ، وذهب ابن سعدي (٦) إلى ما ذهب إليه ابن جرير أيضاً، وقال ابن عثيمين في فوائد وأحكام هذه الآية: « إن الحق ما أذن الله فيه، وأمر به، ولو كان في نفسه باطلاً، فهذان الملكان نزلا إلى الأرض ليعلمنا الناس السحر، وتعليم السحر - كما سبق (٧) - كفر، لكن الله - عز وجل - أباح لهذين الملكين أن يعلمنا الناس من أجل هذا الامتحان الذي حصل بتعليمهما، والشيء قد يكون كفراً، وقد يكون طاعة، ولو كان واحداً من نوعه، وأضرب لهذا مثلين: المثل الأول السجود لغير الله كفر وشرك، وإذا سجد

(١) سورة البقرة الآية " ١٠٢ "

(٢) جامع البيان ٤٥٣/١ ، ٤٥٥ بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير ١٣١/١

(٤) تفسير البغوي ١٢٩/١

(٥) فتح الغدير ١٨٨/١

(٦) تفسير ابن سعدي ١١٨/١.

(٧) انظر أحكام من القرآن الكريم ص(٣٧٠-٣٧١) حيث قرر أن تعليم السحر كفر.

الإنسان لغير الله بأمر الله كان عبادة، ألم تر قول الله عز وجل - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) .  
 فهنا نجد السجود لغير الله كان طاعة وعبادة ، لأن الله أمر به، ويكون شركاً في الحالة التي لم يأمر الله به فيها.

والمثل الثاني: قتل النفس فإنه من كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان المقتول من أقارب القاتل، ومع ذلك كان طاعة بمدح عليه، وذلك في قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل إلى أن قال: فالملك كان اللذان نزلا يعلمان الناس السحر، نزلا بأمر الله، وبإذن الله، فكان تعليمهما للسحر طاعة لله - عز وجل - ، لكنه باعتبار المعلم كفر، ولهذا قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (٢) « (٣) . وواضح من كلام ابن عثيمين أنه يؤيد ما ذهب إليه الطبري، قلت: ويظهر أن ما اختاره ابن جرير ومن وافقه من العلماء هو الراجح والله أعلم.

١٢- في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمَىٰ فِي خَرَابِهِ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤) .

ذكر ابن جرير الأقوال في الذي عنى الله تعالى في قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمَىٰ فِي خَرَابِهِ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، فقال: « قيل هم النصارى، والمسجد بيت المقدس، وقال آخرون: هو بختنصر وجنده ومن أعانهم من النصارى،

(١) سورة البقرة الآية " ٣٤ "

(٢) سورة البقرة الآية " ١٠٢ "

(٣) أحكام من القرآن الكريم ص " ٣٧١ ، ٣٧٢ "

(٤) سورة البقرة الآية " ١١٤ "





وذهب ابن عاشور<sup>(١)</sup> إلى ما ذهب إليه ابن كثير. قلت: والراجح أن الآية عامة لكل من مُنع من كل مسجد إلى يوم القيامة، لأن اللفظ عام، وورد بصيغة الجمع، كما ذكر ذلك القرطبي<sup>(٢)</sup>. وقال ابن سعدي: «وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل وقريش حين صدوا رسول الله ﷺ عنها عام الحديبية، والنصارى حين خربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة الساعين في خرابها، محادة لله ومشاقة»<sup>(٣)</sup>.

قلت: وهذا هو الصحيح فإن القول بالعموم تدخل فيه الأقوال الأخرى والله أعلم.

١٣- في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جرير: «وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه ﷺ، وعلى المؤمنين به التوجه شطر المسجد الحرام، وإنما أنزلها عليه معلماً نبيه ﷺ بذلك، وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه، وتلك الناحية، لأن له المشرق والمغرب، وأنه لا يخلو منه مكان كما قال جل وعز: ﴿وَلَا أَدْرِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ﴾

(١) التحرير والتنوير ٦٧٩/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧٧/٢ .

(٣) تفسير ابن سعدي ١٢٧/١ .

(٤) سورة البقرة الآية " ١١٥ "

الْقِيَمَةَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾<sup>(١)</sup> قال: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم في التوجه شطر المسجد الحرام<sup>(٢)</sup>.

وقد تعقبه ابن كثير بقوله: « وفي قوله ( وأنه تعالى لا يخلو منه مكان ) إن أراد علمه تعالى فصحيح، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٣)</sup> .

قلت: بل أراد ابن جرير رحمه الله تعالى أنه لا يخلو مكان من علمه تعالى، لأنه قال: في تفسير قوله تعالى ﴿ مَا يَحْكُمُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ هُوَ رَابِعُهُمْ - الْآيَةَ ﴾ .

قال: «وعنى بقوله ﴿ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ بمعنى أنه مشاهدتهم بعلمه وهو على عرشه<sup>(٤)</sup> . قلت: وبهذا يزول اللبس الذي أورده ابن كثير رحمه الله تعالى حول ابن جرير، بعد حمل ما أشكل من كلامه على ما هو واضح بين من تفسيره لآية سورة المجادلة، والله أعلم.

١٤- في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة المجادلة الآية " ٧ "

(٢) جامع البيان ٥٠٢/١

(٣) تفسير ابن كثير ١٥٠/١

(٤) جامع البيان ١٢/٢٨ .

(٥) سورة البقرة الآية " ١١٨ "

قال ابن جرير: « اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ ثم ذكر الأقوال بقوله: فقال بعضهم: عنى بذلك النصارى، وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وقال آخرون: بل عنى بذلك مشركي العرب، ثم اختار ابن جرير بعد ذلك أن المعنى بذلك هم النصارى دون غيرهم، لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افتراءهم عليه، وادعائهم له ولداً، ورد على من قال بأنه المقصود العرب، بأنه لا دليل معه ولا حجة<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير: « وفي ذلك نظر وحكى القرطبي ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ أي يخاطبنا بنبوتك يا محمد<sup>(٢)</sup>.

قلت: «وهو ظاهر السياق والله أعلم». ثم قال أيضاً ابن كثير: ويؤيد هذا القول، وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب، وعتوهم، وعنادهم، وسؤالهم ما لا حاجة لهم به، إنما هو الكفر والمعاندة، كما قال من قبلهم من الأمم الخالية، من أهل الكتابين، وغيرهم، كما قال تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا

(١) جامع البيان ٥١٢/١، ٥١٣ باختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٢/٢ معناه.

(٣) سورة الأنعام الآية " ١٢٤ "

(٤) سورة الإسراء الآية " ٩٠ "

(٥) سورة الإسراء الآية (٩٣).

مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ  
أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سَاطِنًا  
مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً  
فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٥٥﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى ﴿ تَشَبَهتْ  
قُلُوبُهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد  
والعتو، كما قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ  
بَجُونٌ ﴿٥١﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِ ؕ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٢﴾ ؟ ﴿ (٤) (٥) وذهب ابن عاشور<sup>(٦)</sup>  
إلى ما رجحه ابن كثير، وذكر ابن سعدي أن المعنى بالآية الجهلة من أهل الكتاب  
وغيرهم، أي عموم الآية لكل هذه الطوائف<sup>(٧)</sup>.

قلت: وما ذهب إليه ابن كثير هو الأولى لدلالة الآيات التي ذكرها على ذلك،

والله أعلم.

(١) سورة النساء الآية " ١٥٣ "

(٢) سورة البقرة الآية " ٥٥ "

(٣) سورة البقرة الآية " ١١٨ "

(٤) سورة الذاريات الآيات " ٥٢ " " ٥٣ "

(٥) تفسير ابن كثير ١٥٤/١ باختصار يسير.

(٦) التحرير والتنوير ٦٨٩/١.

(٧) تفسير ابن سعدي ١٣١/١.

١٥- في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(١)</sup> قال ابن جرير: « ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ بضم التاء من تسأل، ورفع اللام منها على الخبر، بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً فبلغت ما أرسلت به، وإنما عليك البلاغ، والإنذار، ولست مستولاً عمّن كفر بما أتيت به من الحق، وكان من أهل الجحيم »<sup>(٢)</sup>. وقد صوّب ابن جرير هذه القراءة في « تسأل » بضم التاء، ورفع اللام منها على الخبر، ورد ما عداها من القراءات. ثم قال بعد ذلك: « ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبي ﷺ نهي عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم، ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل » ثم قال: « إن في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم، وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة الأخبار الواردة بشأن سؤال النبي ﷺ عن أبويه، ومصيرهما، إن صححت هذه الأخبار »<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: « وهذا الذي سلكه هاهنا ( أي ابن جرير ) فيه نظر، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهما من أهل النار »<sup>(٤)</sup> ورجح الألوسي أن معنى الآية أن النبي ﷺ غير مستول عن أصحاب الجحيم، بعد أن بلغوا وقامت عليهم الحجة، وقال: « والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب كالأيات السابقة عليها، والتالية لها، لا في أبويه ﷺ »<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية " ١١٩ "

(٢) جامع البيان ٥١٥/١ .

(٣) جامع البيان ٥١٦/١ قلت " ولا تُسْئَلُ " بفتح التاء وحزم اللام قرأ بها نافع المدني فهي من القراءات السبع فلا ترد انظر " كتاب السبعة في القراءات " لابن مجاهد ص " ٦٩ " .

(٤) تفسير ابن كثير ١٥٥/١

(٥) روح المعاني ١/٣٧٠ ، ٣٧١ .

۳۲۱ " ۱۸۷۴ هـ قمری و ۱۳۵۳ (۱)

۱/۳۰۱ هجری قمری (۲)

و...

۵۸۱ " ۱۷۰ هجری قمری و ۱۳۵۳ هـ قمری و ۱۳۵۳ هـ قمری : کتاب (۱)

در این کتاب...  
 در این کتاب...  
 در این کتاب...  
 در این کتاب...  
 در این کتاب...  
 در این کتاب...  
 در این کتاب...  
 در این کتاب...

﴿ تَائِبٌ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ (۱)

﴿ تَائِبٌ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ (۱)

...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

إجماع من الحجّة<sup>(١)</sup> . ثم قال: « ولو قال قائل في ذلك: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهباً، لأن قوله ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكْبِتِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وسائر الآيات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم<sup>(٤)</sup> .

قلت: وقول مجاهد وأبي صالح والربيع بن أنس أن الكلمات هي مناسك الحج، كما روى ذلك الطبري عنهم<sup>(٥)</sup> .

قال ابن كثير: « والذي قاله أولاً - أي ابن جرير - من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله، لأن السياق يعطي غير ما قالوه والله أعلم<sup>(٦)</sup> .

قلت: و ما قرره ابن جرير من أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحجة يجب التسليم لها، أي أن ابن جرير حمل الآية على الإبهام أقول أن ذلك هو الراجح لعدم الدليل على بيان أن الكلمات التي أبهمها الله تعالى تعني شيئاً معيناً والله أعلم.

(١) جامع البيان ١/٥٢٧، ٥٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآية "١٢٤" .

(٣) سورة البقرة الآية (١٢٥) .

(٤) جامع البيان ١/٥٢٨ .

(٥) جامع البيان ١/٥٢٦ .

(٦) تفسير ابن كثير ١/١٥٩ .



١٧- في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

روى الطبري بسنده إلى السدي أنه قال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ .  
يعنيان العرب. قال الطبري: « وهذا قول يدل ظاهر الكتاب على خلافه، لأن ظاهره يدل على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والمستجيبين لأمره، وقد كان في ولد إبراهيم العرب وغير العرب، والمستجيب لأمر الله والخاضع له بالطاعة من الفريقين، فلا وجه لقول من قال: عنى إبراهيم بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم لا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد » (٢).

قال ابن كثير: « وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فإن تخصيصهم بذلك لا ينفى من عداهم، والسياق إنما هو في العرب، ولهذا قال بعده: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣).

والمراد بذلك محمد ﷺ، وقد بعث فيهم، كما قال تعالى ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم - الآية ﴾ (٤) ومع هذا لا ينفى رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

(١) سورة البقرة الآية " ١٢٨ " .

(٢) جامع البيان ٥٥٣/١ .

(٣) سورة البقرة الآية " ١٢٩ " .

(٤) سورة الجمعة الآية (٢) .

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾<sup>(١)</sup>.  
وغير ذلك من الأدلة القاطعة<sup>(٢)</sup>.

قلت: وما ذهب إليه الطبري هو الأقرب، وهو عموم الذرية للعرب وغير العرب، لأن تخصيصها بالعرب لا دليل عليه ولأنه لا يعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه، ومع ذلك فالخلاف بين هذين الإمامين لا يترتب عليه كبير شيء، لأن نتيجة القولين واحدة حيث قال ابن كثير: «فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم»<sup>(٣)</sup> والله أعلم.

١٨- في قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ذكر ابن جرير قولين في معنى هذه الآية، أحدهما: أي مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه، وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله، ويوعظ به مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعى بها، ولا تعقل ما يقال لها.

الثاني: مثل الذين كفروا في دعائهم أهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾<sup>(٥)</sup>، ثم رجح القول الأول، حيث قال: «وأولى التأويل عندي بالآية التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه،

(١) سورة الأعراف الآية " ١٥٨ "

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٤/١.

(٣) تفسير ابن كثير ١٧٤/١.

(٤) سورة البقرة الآية " ١٧١ "

(٥) جامع البيان ٧٩/٢، ٨٢ باختصار.

وهو أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه كمثل الناعق يغنمه ونعيقه فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه « (١) .

قال ابن كثير بعد أن ذكر القول الأول: « وقيل: إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً، اختاره ابن جرير، والأول أولى، لأن الأصنام لا تسمع شيئاً، ولا تعقله، ولا تبصره، ولا بطش لها، ولا حياة فيها » (٢) . قلت: واختيار ابن جرير هو القول الأول الذي أورده ابن كثير ورجحه، أما ابن كثير رحمه الله تعالى فيحتمل أنه اعتمد على نسخة من نسخ تفسير الطبري فيها سقط في هذا الموضع والله أعلم.

١٩- في قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١٦﴾ (٣) .

قال ابن جرير: « يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أحصرتم فأردتم الإحلال من إحرامكم فعليكم ما استيسر من الهدى، ولا تحلوا من إحرامكم إذا أحصرتم حتى يبلغ الهدى - الذي أوجبه عليكم لإحلالكم من إحرامكم الذي أحصرتم فيه قبل تمامه، وانقضاء

(١) جامع البيان ٨٢/٢

(٢) تفسير ابن كثير ١٩٤/١

(٣) سورة البقرة الآية " ١٩٦ " .

مشاعره، ومناسكه - محله، وذلك أن حلق الرأس إحلال من الإحرام الذي كان المحرم قد أوجبه على نفسه، فنهاء الله عن الإحلال من إحرامه بجلافة، حتى يبلغ الهدى - الذي أباح الله له الإحلال بإهدائه - محله « (١) » .

قال ابن كثير: وقوله ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، وليس معطوفاً على قوله: ﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾، كما زعمه ابن جرير رحمه الله، لأن النبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية، لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم، فاما في حال الأمن والوصول إلى الحرم، فلا يجوز الحلق (حتى يبلغ الهدى محله) ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارناً، أو من فعل أحدهما إن كان مفرداً، أو متمتعاً، كما ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة، ولم تحل أنت من عمرتك؟ قال: « إني لبدت رأسي وقلدت هدي فلا أحل حتى أنحر » (٣) .

قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾<sup>(٤)</sup> الآية، الخطاب لجميع الأمة محصر ومخلي، من العلماء من يراها للمحصرين خاصة<sup>(٥)</sup> .

(١) جامع البيان ٢/٢٢٠ .

(٢) رواه البخاري ١/١٨٥، (كتاب الحج)، باب « التمتع والإقراء والإفراد بالحج » حديث رقم (١٥٦٦)، ومسلم ٢/٩٠٢ كتاب الحج باب « بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد » حديث رقم (١٢٢٩) .

(٣) تفسير ابن كثير ١/٢٢٠ .

(٤) سورة البقرة الآية (١٩٦) .

(٥) المحرر الوجيز ٢/١١١ .



فعله في حال إحرامه، وعلل ذلك بقوله: « لأنه لا معنى لأن يقال فيما قد حرم الله على خلقه في كل الأحوال: لا يفعلن أحدكم في حال الإحرام ما هو حرام عليه فعله في كل حال، لأن خصوص حال الإحرام به لا وجه له، وقد عم به جميع الأحوال، من الإحلال والإحرام »<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: والذين قالوا: الفسوق هاهنا جميع المعاصي، الصواب معهم، كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم، وإن كان في جميع السنة منهيًا عنه، إلا أنه في الأشهر الحرم أكد، ولهذا قال: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال في الحرم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup> واختار ابن جرير أن الفسوق هاهنا هو ارتكاب ما نهى عنه في الإحرام من قتل الصيد، وحلق الشعر، وقلم الأظفار، ونحو ذلك، وما ذكرناه أولى، والله أعلم «<sup>(٤)</sup>.

قلت: وما ذهب إليه ابن كثير أختره ابن عطية<sup>(٥)</sup>، وابن عاشور<sup>(٦)</sup>، وكذا قال ابن

سعدى: « الفسوق جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام »<sup>(٧)</sup>.

(١) جامع البيان ٢/٢٦٨-٢٧١.

(٢) سورة التوبة الآية (٣٦).

(٣) سورة الحج الآية (٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير ١/٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) المحرر الوجيز ٢/١٢٣.

(٦) التحرير والتنوير ٢/٢٣٤.

(٧) تفسير ابن سعدى ١/٢٤٤.

قلت : والظاهر ما ذهب إليه ابن كثير وهو القول بأن الفسوق يشمل جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام لأن الله تعالى نهى عن المعاصي في كل حال وزمان، والنهي عنها في الحج أشد وأكد، ويدخل في عموم المعاصي محظورات الإحرام والله أعلم.

٢١- في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١) ذكر ابن جرير الأقوال في المراد بالكرسي، فذكر أن بعضهم قال: علم الله تعالى، ومنهم من قال: الكرسي: موضع القدمين، ومنهم من قال: هو العرش نفسه، ثم اختار أن الكرسي هو العرش، حيث قال: « ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القبطاني قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة قال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال: أن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع، ثم قال بأصابعه فجمعها، وإن له أطيماً كأطيظ الرجل الجديد، إذا ركب من ثقله « (٢).

(١) سورة البقرة الآية " ٢٥٥ " .

(٢) رواه ابن جرير الطبري، أنظر جامع البيان ٩/٣، ١٠.

قال ابن كثير: « والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار، والأخبار <sup>(١)</sup>، وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك، وعندني في صحته نظر والله أعلم » <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن أبي العز: وأما الكرسي، فقال تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ <sup>(٣)</sup>، وقد قيل هو العرش، والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره <sup>(٤)</sup>.

ويفهم من كلام الشوكاني <sup>(٥)</sup>، أنه رجح ما ذهب إليه ابن كثير.

قلت: وما رجحه ابن كثير هو المتعين والله أعلم.

---

(١) انظر هذه الآثار في جامع البيان ١٠/٣، وتفسير ابن كثير ٢٩٢/١، ٢٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٣/١، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني عن هذا الحديث: إسناده ضعيف، عبد الله بن خليفة لم يوثقه غير ابن حبان، انظر السنة لابن أبي عاصم ٣٥٢/١ حديث رقم (٥٧٤) بلفظ " إن عرشه فوق سبع سموات وإن له لأطيظاً - الحديث " ورواه البزار بلفظ " إن كرسيه وسع السموات والأرض... الحديث انظر البحر الزخار ٤٥٧/١، حديث رقم (٣٢٥)، وقال المحقق: فيه عبد الله بن خليفة وهو ليس من رجال الصحيح والله أعلم.

(٣) سورة البقرة، الآية " ٢٥٥ " .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص " ٢٨٩ " .

(٥) فتح الغدير ٤١٢/١.



## الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على خير الأنام  
وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

فقد توصلت في هذا البحث إلى النتائج التالية :-

١- استفاد ابن كثير من ابن جرير الطبري، ووافقه على كثير من ترجيحاته  
واختياراته.

٢- ابن كثير له شخصيته العلمية المتميزة فقد استدرک على الطبري في  
عدد من المواضع.

٣- وفق ابن كثير في أغلب استدراكاته على الطبري وكان فيها أقرب إلى  
الصواب.

٤- أحياناً يكون الخلاف بين هذين الإمامين من باب اختلاف التنوع في  
التفسير وليس من باب اختلاف التضاد.

٥- تبين من هذا البحث حرص هذين الإمامين على سلوك منهج أهل  
السنة في التفسير، وعلى التفسير وفق قواعد التفسير وأصوله. والله  
أعلم.



- ١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان « ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ١١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ١٢- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وعلقه حواشيه محمود محمد شاكر، وراجعته وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
- ١٣- الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
- ١٤- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور: أحمد بن محمد الخراط، دار القلم، دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الألويسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦- السنة لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخرّج السنة، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ١٧- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ١٨- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة محققة على عدة نسخ، وعن نسخة فتح الباري التي حقق أصولها وأجازها الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

